مفهوم الهوى وانعكاسه على سلوك الانسان

دراسة قرآنية معاصرة

The concept of desires and its reflection on human behavior Contemporary Quranic study

أ.م. د. فاضل أحمد حسين

Asst.prof. Dr.Fadhil Ahamd Hussen

جامعة ديالى _ كلية العلوم الإسلامية

University of Diyala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: الهوى، سلوك، الانسان، معاصرة.

key words: desires ،behavior ،human ،Contemporary.

الملخص:

إنَّ اتباع الهوى من الأمور التي ذمها الله تعالى في كتابه الكريم؛ لأنَّ اتباع الهوى يتعارض مع الدين ويتعارض مع الرسالة الإسلامية التي نزلت من عند الله تعالى، فلا يكون امام الانسان من خيار في طريقه الى الله تعالى الا طريقان لا ثالث لهما اما طريق الايمان والهدى او طريق الضلالة والهوى، وقد حذر الله تعالى عباده من متابعة انفسهم واهوائهم الضالة التي تتعارض مع شريعته ودينه، وان اتباع الاهواء له آثار خطيرة في القرآن الكريم، بحيث إنه قد يصل الى فساد الارض وفساد المجتمع، واتباع الهوى يحول بين الانسان واتباع الحق، وان لاتباع الهوى مظاهر عملية في حياة الانسان كثيرة واقربها وليس مقتصرا عليها اتباع الشهوات المحرمة.

Abstract

Following desires is one of the things that God Almighty has forbidden in His Noble Book because following desires contradict religion and contradict the Islamic message that was sent down from God Almighty، so man has no choice in his path to God Almighty except two paths that have no third. As for the path of faith And guidance or the path of misguidance and whims، God Almighty has warned His servants against following themselves and their misguided desires that conflict with His law and religion. There are many practical aspects in a person's life to follow desires، and they are not limited to following forbidden desires.

المقدمة

الحمد الله الذي شرفنا على سائر الأمم بالقرآن المجيد (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[1] وأشهد أن لا إله إلا الله المبدئ المعيد، والصلاة والسلام على من قُرِن اسمه باسم ربه فلا يذْكَر إلا معه في التّشهد وشهادة التوحيد، أما بعد: فقد جاء الوعيد في كتاب الله المجيد لمن اتَّبع الهوى، وعدل عن شرع الله فهوى، قال تعالى: (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[2] وثم آيات كثيرة تعددت في مواضعها، وتنوعت في مواضيعها بلغ تعدادها ثمانياً وثلاثين آية، في اثنتين وعشرين سورة، وجاء الهوى في كثير من المواضع مضافاً إلى المشركين، ثم إلى أهل الكتاب، ثم إلى الشخص المتَّبِع هوى نفسه. وآيات القرآن الكريم حين صورت صاحب الهوى: إنما رسمت صورة إنسان عصى، وظَلم، وفسق، وفَجر، إنسان إن زجِر لا يزدجر، وإن بصر لا يستبصر، وإن أُمر لا يأتمر إنسان إلى ملذات النفس هوى لا يستجيب إلا لداعي الهوى، ولمن إليه روج ودعا، إنسان خالف الشرع، وخادع العلم، وحاد عن الصراط المستقيم، ومن خلال دراسة الآيات القرآنية التي أوردت المصطلح بينت المعاني المتعددة للهوى في القرآن الكريم، وقد عينت المعنى المراد من خلال النص القرآني مستعيناً بأقوال المفسرين في

تحديد المعنى المراد في الآية، وأَتْبعت ذلك ما تم استخراجه من الآيات – موضوع البحث– من الملاحظات، واللطائف، واللفتات، وقسمت هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة على النحو التالي: المطلب الأول: مفهوم الهوى والنهي عنه في القران الكريم والمطلب الثاني: مظاهر اتباع الهوى في القران الكريم

المطلب الثالث: العواقب السيئة لاتباع الهوى في القران الكريم، والخاتمة: بينت فيها أهم التوصيات والنتائج التي تم التّوصل إليها من خلال البحث وختاماً أقول: هذا جهد بذلته خدمة لكتاب الله عز وجل، اجتهدت فيه عسى أن يكون لائقاً بجلال القرآن وهيبته، فإن وفّقت فهذا من توفيق الله تعالى ومنَّته علي، وإن أخْطأت فمن نفسي الأمارة والله تعالى الموفّق والهادي إلى سواء السبيل.

المطلب الأول: مفهوم الهوى والنهي عنه في منهج القران الكريم

أولا: معنى مادة (هوى) في اللغة:

معاني مادة (هوى) في اللغة والاصطلاح أولاً– الهوى في اللغة الهوى بالقصر مصدر هويته بمعنى أحببته وعشقته، تقول: هوِي يهوي هوى، ورجل هوٍ: ذو هوى، وامرأة هوِيةٌ : لا تزال تَهوى)[3] ثم أطلق على (ميل النفس وانحرافها نحو الشيء)[4] وجاء أيضا (واستهوته الشياطين: ذهبت بهواه، وعقله، أو حيرته، أو زينت له هواه)[5]

ثانيا: الهوى في الاصطلاح:

ذكر العلماء كثيراً من المعاني الاصطلاحية للهوى، وهي تتفق أحياناً، وتختلف أخرى، ولعل سر اختلافها يعود إلى تحديد المراد من (الهوى) فهي كلمة تتعدد إطلاقاتها، ولا يفهم المراد من الإطلاق إلا من خلال السياق، فقد تطلق كلمة الهوى على الحب والعشق، وقد تطلق عند المتصوفة على عشق الخالِق جلَّ وعلَا، وقد تطلق على البِدع، فأصحاب الأهواء هم أهل البِدع، وقد تُطلق على هوى النفس، وهذا الأقرب إلى مراد بحثنا ومقصوده، وفيما يلي عرض أقوال العلماء في تعريف الهوى:الهوى بمعنى هوى النفس، عرفه الجرجاني (ت: 471هـ) بقوله: (الهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع)[6] وعرفه ابن رجب الحنبلي (ت: 795هـ) فقال: (والمعروف في استعمال الهوى عند الإطلاق أنه الميل إلى خلاف الحق) [7].

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الهوى في المفاهيم السابقة يرجع إلى ميل النفس إلى مشتهاها، فهوى الخالق؛ لأن النفس تميل إلى حبه عز وجل، وعشق المحبوبة لأن النفس تميل إليها، وأهل الأهواء أهل البدع؛ لأن نفوسهم تميل إلى البدعة، وبالتالي هي أنواع لهوى النفس، وقد يكون هوى النفس في الميل عن الحق في العقيدة، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات وجميعها يعود إلى ميل النفس إلى مشتهاها. وعند الإطلاق: فإن الهوى يطلق على ميل النفس إلى شهواتها بما يخالف الشّرع.

النهي عن اتباع الهوى في منهج القران الكريم

لقد ذم القران الكريم اتباع الهوى في اكثر من مورد، وذلك لما له من اثار خطيرة تنعكس على فكر الانسان وسلوكه في الدنيا والاخرة، وان أي اتباع للهوى فسيحرف الانسان عن جادة الصواب والهدى الإلهي، فهو نهاية الضلال والانحراف، قال تعالى: (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)[8] وقال تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[9] يقول الطبري (310هـ): (ثم جعلناك يا محمد على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا، فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك، ولا تتبع ما دعاك إليه الجاهلون بالله، الذين لا يعرفون الحقّ من الباطل، فتعمل به، فتهلك إن عملت به)[10].

وان الانسان لا يكتمل الا باتباع الايمان ونبذ الهوى، إنهما أمران لا ثالث لهما: إما أن يكون المرء متبعا للحق، أو يكون متبعا للهوى، يقول الإمام الشاطبي (590هـ) في معرض ذمه للبدع: (أنه اتباع للهوى لأن العقل إذا لم يكن متبعا للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة، وأنت تعلم ما في اتباع الهوى وأنه ضلال مبين، ألا ترى قول الله تعالى:(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)[11] يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ، فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده، وهو الحق والهوى، وعزل العقل مجردا إذ لا يمكن في العادة إلا ذلك)[12] وبيّن في موضع آخر أن اتباع الهوى من أسباب الاختلاف ووقوع الفرقة في الأمة فقال: (من أسباب الخلاف: اتباع الهوى، ولذلك سمي أهل البدع " أهل الأهواء " لأنهم؛ اتبعوا أهواءهم، فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك)[13] والدليل على ذلك أنك لا تجد مبتدعا ممن ينسب إلى الملة إلا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعي فينزله على ما وافق عقله وشهوته، وهو أمر ثابت في الحكمة الأزلية التي لا مرد لها.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)[14]. وإذا دخل الهوى أدى إلى اتباع المتشابه حرصا على الغلبة والظهور بإقامته العذر في الخلاف، وإنما أدى إلى الفرقة والتقاطع والعداوة والبغضاء، لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها، وإنما جاء الشرع بحسم مادة الهوى بإطلاق لذلك لم يأت في القرآن ذكر الهوى إلا في معرض الذم، ولقد جاء الأمر صريحا (لمحمد صلى الله عليه واله وسلم) باتباع الشرع الحنيف، والنهي عن اتباع الهوى فقال سبحانه (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[15].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أيضا: (إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم، ومضلات الأهواء)[16] يحذّرنا الله تعالى في كتابه الكريم من الدنيا ومن عواقب التعلّق بها فيقول: (فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى(39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى(40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)[17] فكلّ من يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة عاقبته ستكون سيئة إلى حدّ دخول نار جهنّم. وفي المقابل من يؤثر الآخرة على الدنيا، وعلامته محاربة الهوى والنفس الأمّارة، فإنّ مأواه الجنّة.

المطلب الثاني: مظاهر اتباع الهوى في القران الكريم

يعتقد كثير من الناس أن اتباع الهوى ينحصر في تلبية الرغبات النفسية وشهواتها المحرمة وهذا تصور قاصر بحقيقة اتباع الهوى، صحيح أن أبرز مظهر من مظاهر اتباع الهوى يتمثل في ذلك، لكن إن اتباع الهوى في القرآن الكريم له مظاهر ومصاديق أخرى كثيرة متعددة ومتنوعة فادخل اتباع الهوى في جوانب عديدة منها العبادات مثلا في مسائل الحلية والحرمة، وفي قضايا الحكم والتشريع في الجوانب القضاء وكذلك كثيرة هي وسوف نقف عند بعضها:

أولا: اتباع الهوى في العبادات:

مفهوم العبادة بين العبد وربه قائم على مبدأ التسليم والخضوع من العبد إلى ربه سبحانه وتعالى، ولا مجال في هذا الجانب الى أعمال الهوى والرغبات النفسية، ومن اتبع نفسه وهواه في جوانب العبادة لله تعالى فقد جعل من هواه اله يعبد من دون الله تعالى، وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يستغرب من حال المشركين والكفار في ذلك الوقت وهو يراهم ويشاهدهم يعبدون غير الله تعالى وقد أخبره تعالى إن الذي يدفعهم إلى ذلك إنما هو أتباعهم الى أهوائهم، قال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا)[18] يقول القرطبي:(قال الكلبي وغيره : كانت العرب إذا هوي الرجل منهم شيئا عبده من دون الله، فإذا رأى أحسن منه ترك الأول وعبد الأحسن ؛ فعلى هذا يعني : أرأيت من اتخذ إلهه بهواه ؛ فحذف الجار. وقال ابن عباس: الهوى إله يعبد من دون الله، ثم تلا هذه الآية، وقيل: {اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} أي أطاع هواه. وعن الحسن لا يهوى شيئا إلا اتبعه، والمعنى واحد. {أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً} أي حفيظا وكفيلا حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من هذا الفساد).

أي ليست الهداية والضلالة موكولين إلى مشيئتك، وإنما عليك التبليغ.)[19] وقال الفخر الرازي (ت: 604هـ) في نفس السياق: (يَعْنِي تَرَكُوا مُتَابَعَةَ الْهُدَى وَأَقْبَلُوا عَلَى مُتَابَعَةِ الْهَوَى فَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْهَوَى كَمَا يَعْبُدُ الرَّجُلُ إِلَهَهُ، وَقُرِئَ آلِهَتَهُ هَوَاهُ كُلَّمَا مَالَ طَبْعُهُ إِلَى شيء، اتَّبَعَهُ وَذَهَبَ خَلْفَهُ، فَكَأَنَّهُ اتَّخَذَ هَوَاهُ آلِهَةً شَتَّى يَعْبُدُ كُلَّ وَقْتٍ وَاحِدًا مِنْهَا)[20]

ثانيا: اتباع الهوى في مجال الاحكام الشرعية

التحليل والتحريم في حياة البشر حق لله تعالى وحده، لأنه تعالى خالق البشر ويعلم ما يصلحهم ويفسدهم، قال تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير)[21] وقد جعل الله تعالى من المهمات التي بعث من اجلها نبيه

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يحل للناس الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[22] وقد كان أهل الجاهلية يعملون أهواءهم في كثير من القضايا والأمور، ومن هذه القضايا التي أعمل فيها أهواءهم تحليل الميتة، التي ماتت حتف أنفها، كالمنخنقة والمتردية وغيرهما، من الميتات، ويحرمون على أنفسهم أكل الأنعام الحية كالبحيرة والسائبة ونحوهما، وأخذوا يثيرون شبهاتهم حول هذه القضية، فعن سعيد بن جبير عن عبدالله ابن عباس قال أتى اناس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا يا رسول الله: أناكل ما نقتل ولا ناكل ما يقتل الله، فانزل الله: (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (118) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (119) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (120) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)[23] قال الشوكاني (ت: 1250هـ) (لَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُ مَا يَصْنَعُهُ الْكُفَّارُ فِي الْأَنْعَامِ مِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الْجَاهِلِيَّةِ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ يَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقِيلَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي سَبَبٍ خَاصٍّ وَسَيَأْتِي، وَلَكِنَّ الِاعْتِبَارَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، فَكُلُّ مَا ذَكَرَ الذَّابِحُ عَلَيْهِ اسْمَ اللَّهِ حَلَّ إِنْ كَانَ مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ أَكْلَهُ. وَقَالَ عَطَاءٌ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأَمْرُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَلَى الشَّرَابِ وَالذَّبْحِ وَكُلِّ مَطْعُومٍ، وَالشَّرْطُ فِي إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ لِلتَّهْيِيجِ وَالْإِلْهَابِ: أَيْ بِأَحْكَامِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا الْأَمْرُ بِالْأَكْلِ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَالِاسْتِفْهَامُ فِي وَما لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ لِلْإِنْكَارِ: أَيْ مَا الْمَانِعُ لَكُمْ مِنْ أَكْلِ مَا سَمَّيْتُمْ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أذن الله لكم بذلك وَالحال أن قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيْ بَيَّنَ لَكُمْ بَيَانًا مُفَصَّلًا يَدْفَعُ الشَّكَّ وَيُزِيلُ الشُّبْهَةَ)[24]

ثالثا: اتباع الهوى في مسائل الحكم:

أنزل الله تعالى على أهل الكتاب كتباً سماوية كثيرة، فيها بيان حكم الله في كل امور دينهم ودنياهم، ولأن بعض احكام الله تعالى لم توافق اهواءهم ورغباتهم، فقد عمدوا الى تحريفها على نحو يتوافق مع اهوائهم ويحقق رغباتهم، ولما انزل الله تعالى القران الكريم على النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وجعله مهيمنا على الكتب السماوية جميعا وناسخا لها، حسد اليهود المسلمين على هذه النعمة و عملوا جاهدين على ان يحرفوا احكام هذا القران والشريعة، وقد قاموا بعدة محاولات في هذا الجانب، فذهبوا الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) مباشرة رغبة منهم في تحقيق اهوائهم في ذلك، فانزل الله تعالى على رسوله: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ

اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[25] قال ابن عباس (رضي الله عنه) قال: (ان جماعة من اليهود من هم كعب بن اسد، و عبد الله ابن سوريا، و شاس بن قيس، قال بعضهم لبعض اذهب بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم، وانا ان تبعناك اتبعنا اليهود ولا يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصوما ونحن حاكمهم اليك فتقرر لنا عليهم ونحن نؤمن بك وصدقك، فابى ذلك رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

فانزل الله تعالى: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[26]قال الشوكاني: في تفسيره: (أَيْ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَادِلًا أَوْ مُنْحَرِفًا عَنِ الْحَقِّ. وَفِيهِ النَّهْيُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ يَتَّبِعَ أَهْوِيَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَيَعْدِلَ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ كُلَّ مِلَّةٍ مِنَ الْمِلَلِ تَهْوَى أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ وَمَا أدركوا عَلَيْهِ سَلَفَهُمْ وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا مَنْسُوخًا أَوْ مُحَرَّفًا عَنِ الْحُكْمِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا وَقَعَ فِي الرَّجْمِ وَنَحْوِهِ مِمَّا حَرَّفُوهُ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ)[27]

والمتأمل في تاريخ الامة الطويل يجد ان الامة الإسلامية يوم حكّمت شريعة الله سبحانه وتعالى في جوانبها العديدة وتطبيقاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية عاشت قويه ومهابه من قبل الجميع، و لكن اليوم اصابه الذل والهوان لأنها اتبعت الاهواء و احتكمت في بعض الجوانب لغير شرع الله تعالى تحت مبررات واهية وشبهات لا قيمه لها، لذلك يتحاكمون الى غير الاسلام وعطلوا اجزاء واسعة من الشريعة تحت ضغط هذه المبررات الواهية وحكمة الاهوآء فاصاب الأمة ما أصابها اليوم من الفتن والشدائد، لذلك يقول الله تبارك وتعالى: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ)[28] فالأمر الصادر عن النَّفس إن كان خيراً ولم يكن في طاعة الله ولأهداف إلهية فهو مخالف لإرادة الله تعالى ومن ثمَّ باطل، وإن كان شراً فهو صادر عن النَّفس الأمّارة بالسوء التي تأمر الإنسان بالسوء دائماً وتدفعه إلى معصية الربّ ومخالفة أمره.

المطلب الثالث: العواقب السيئة لاتباع الهوى في القران الكريم

اتباع الهوى له عواقب وخيمة وسيئة تلحق الشخص الذي يتبع هواه، وهذه العواقب متعددة ومتنوعة، فمن هذه العواقب ما تكون عاجله في الدنيا، فيطبع الله على قلب صاحب الهوى فيكون من الغافلين ومن الغاوين، ويُحرم من ولاية الله وهدايته، واعظم عقوبة لاتباع الهوى الخسارة والندامة في الآخرة، وهذه العقوبات سوف نتناولها في هذا المطلب في جوانب متعددة.

العاقبة الأولى: الغواية:

قص الله تعالى علينا في كتابه العزيز قصصاً كثيرة من بعض من اتاهم الله تعالى من فضله ونعمه وعلمهم من لدنه علما، لكنهم لم ينتفعوا بذلك، فانسلخوا من آيات الله تعالى ولم يعملوا بالعلم الذي تعلموا واتبعوا اهواءهم، ومن هذه القصص التي جاء ذكرها في كتاب الله تعالى قصه المنسلخ من آيات الله تعالى الذي اتاه الله تعالى آياتنه فانسلخ منها، بسبب اتباعه لهواه فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين والضالين، قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[29] قال الطبري (ت: 310هـ) في ذيل الاية المباركة: (عن مجاهد: (كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث) قال: تطرده، هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعملُ به. "يلهث"، قال: مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه قال ابن جريج: الكلب منقطِع الفؤاد عن معمر، عن بعضهم فذلك هو الكافر، هو ضالٌّ إن وعظته وإن لم تعظه.

عن ابن عباس، قوله: (فمثله كمثل الكلب) إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها، وإن ترك لم يهتد لخير، كالكلب إن كان رابضًا لهث وإن طرد لَهَث.)[30] قال الجوزي (ت: 510 هـ) في تفسيره (والمعنى أنه انقاد لما دعاه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع قومه. وهذه الآية من أشد الآيات على أهل العلم إذا مالوا عن العلم إلى الهوى. قوله تعالى: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ معناه: أن هذا الكافر، إن زجرتَه لم ينزجر، وإن تركتَه لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب، فانه إن طُرد وحُمل عليه بالطرد كان لاهثاً، وإن تُرك وربض كان أيضاً لاهثاً، والتشبيه بالكلب اللاهث خاصة فالمعنى: فمثله كمثل الكلب لاهثاً وإنما شبهه بالكلب اللاهث، لأنه أخسُّ الأمثال على أخس الحالات وأبشعها. وقال ابن قتيبة: كل لاهث إنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب، فانه يلهث في حال راحته وحال كلاله، فضربه الله مثلاً لمن كذَّب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث، أو تركته على حاله رابضاً لهث)[31]

العاقبة الثانية: الطبع على القلب:

ظهرت حركه النفاق في المدينة النبوية الشريفة، بعد ان كان المسلمون قد قويت شوكتهم فيها، وقد صار للمسلمين قوة يخشاها الأعداء قوتها، وهذه القوة التي كان يتمتع بها المسلمون جعلت بعض ضعفاف النفوس يتظاهرون بالإسلام ويدخلون فيه نفاقا، وقد تصدر هذا المشهد راس النفاق عبد الله ابن ابي ومن تبعه من المنافقين، حيث ان عبد الله ابن ابى بدأ يفقد مكانته في المدينة، وأنها سوف تتأثر مع وجود الاسلام القوي في

المدينة وعمد الى الالتفاف وباي وسيلة ومع مجموعة من الناس حول هذه الدعوة الجديدة وبدا يحييك المؤامرات ضد الاسلام واهله، وكانت ظهر منه ومن بعض اتباعه تصرفات تدل على سخريته من الاسلام وبين نبي الاسلام ومن هذه التصرفات انهم كانوا يحضرون مجالس العلم والوعظ، وبمجرد ان يخرج منها يطرحون تساؤلاتهم التي تدل على همزه ولمزه للإسلام ولرسوله (صلى الله عليه واله) وهذا دليل على انهم اتبعوا اهواءهم ان الله قد طبع على قلوبهم، قال تعالى :(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)[32] قال السيوطي (ت: 911هـ): (أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيسمع المؤمنون منهم ما يقول ويعونه أي ويسمعه المنافقون فلا يعونه فإذا خرجوا سألوا المؤمنين ماذا قال آنفا فنزلت ومنهم من يستمع إليك)[33] والمشكلة الكبرى في هذه التبعية للنفس تكمن في أنّها تضلّ الإنسان عن جادّة الحقّ والصِّراط المستقيم، لذا كان أمر الله وحكمه واضحاً وصريحاً بضرورة تجنّب هوى النَّفس وطاعتها، لأنّها لن تورث الإنسان إلّا العذاب والضلال والمؤمنُ الصَّادق يكفيه أن يعرف الأضرار والمساوئ الناجمة عن اتّباع الهوى وحبّ النَّفس، وما وعد الله به الذين يخافونه في الغيب من الجنان، حتّى يقلع عنه.

يمكن أن نفهم مخاطر هذه الآفّة، فمن يتجاوز الحدّ الذي حدّه الله ولا يتورّع عن ارتكب المعاصي، مفضّلاً بذلك الدنيا على الآخرة، فإنّ النار منزله ومأواه. وأمّا من خاف الله تعالى والتزم بما يجب عليه فعله أو تركه بحسب القوانين والتشريعات الإلهية، ونهى نفسه عن الحرام الذي تهواه وتشتهيه فإنّ الجنّة مقرّه ومثواه. ولكونهما من أعظم المهلكات حذّر منهما الإمام عليّ عليه السلام، فخطرهما مؤكّد وأثرهما السلبيّ مباشر على سلوك الإنسان وقربه من الله تعالى.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و افضل الصلاة والسلام على المبعوث رحمه للعالمين محمد واله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين

هذا فقد ساهمت في خدمه كتاب الله عز وجل وقد وصلت الى هذه النتائج التالية:

أولا: اتباع الهوى من الامور التي ذمها الله تعالى في كتابه الكريم؛ لأن اتباع الهوى يتعارض مع الدين ويتعارض مع الرسالة الإسلامية التي نزلت من عند الله تعالى هما طريقان لا ثالث لهما، اما طريق الايمان والهدى او طريق الضلالة والهوى

ثانيا: حذر الله تعالى عباده من متابعة انفسهم واهوائهم الضالة التي تتعارض مع شريعته ودينه

ثالثا: لاتباع الهواء آثار خطيرة في القرآن الكريم، إذ تصل إلى فساد الارض وفساد المجتمع، واتباع الهوى يحول بين الانسان واتباع الحق وحتى لو ظهرت له الهدى واستبانة الطريق

رابعا: لاتباع الهوى مظاهر عملية كثيرة في حياة الناس، واقربها اتباع الشهوات المحرمة.

الهوامش:

(1) سورة فصلت: الآية 42.

(2) سورة القصص: الآية 50.

(3) كتاب العين، الفراهيدي، حرف الهاء، باب الثلاثي اللفيف، 4/ 105.

(4) المصباح المنير، الفيومي، مادة هوى، 643/2.

(5) لسان العرب، ابن منظور، مادة (هوا) ، 15/ 373.

(6) الجرجاني: التعريفات، ط1، ص320.

(7) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ص341.

(8) سورة الانعام: الاية 56.

(9) سورة الجاثية: الاية 18.

(10) جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة
الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، 70/22 .

(11) سورة ص: الاية 26.

(12) الاعْتِصَام: المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، ص35.

(13) الاعتصام: الشاطبي، ص447.

(14) سورة البقرة: الاية 26.

(15) سورة الجاثية: 18.

(16) الآحاد والمثاني: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: 287هـ) المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، 1411 – 1991، 1/ 155.

(17) سورة النازعات: الايات 37 ـ 41.

(18) سورة الفرقان: الآية 43.

(19) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1423 هـ/ 2003 م، 13/ 35.

(20) مفاتيح الغيب : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – 1420 هـ، 27/ 678.

(21) سورة الملك: الاية 14.

(22) سورة الأعراف: الاية 157.

(23) سورة الانعام: الآيات 118 ـ 121.

(24) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)
الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى 1414 هـ،178/2

(25) سورة المائدة: الايات 48 ـ 50.

(26) سورة المائدة: الايتان 49 ـ 50.

(27) فتح القدير: الشوكاني، 2/ 56.

(28) سورة المائدة: الاية 49.

(29) سورة الأعراف: الآيات 175 ـ 178.

(30) جامع البيان في تاويل القران: الطبري، 13/ 272.

(31) زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ، 2/ 171.

(32) سورة محمد: الاية 16.

(33) لباب النقول في أسباب النزول: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1/ 176.

المصادر والمراجع:

القران الكريم

1. الآحاد والمثاني: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: 287هـ) المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية – الرياض، الطبعة: الأولى، 1411 – 1991.
2. الاعْتِصَام: المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م.
3. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م.
4. جامع العلوم والحكم، ابن رجب، الطبعة الأولى 1406.
5. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1423 هـ/ 2003 م.
6. الجرجاني: التعريفات، الطبعة الأولى 1405هـ، الناشر : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر/ لبنان ـ بيروت.

7. زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422هـ
8. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى 1414 هـ
9. كتاب العين، الفراهيدي، المحقق: الدكتور مهدي المخزومي،الدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية 1409هـ،الناشر: مؤسسة دار الهجرة/ ايران.
10. لباب النقول في أسباب النزول: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،
11. لسان العرب، ابن منظور، الطبعة الثالثة: 1414. الناشر: دار صادر للطباعة والنشر/ لبنان ـ بيروت.
12. المصباح المنير، الفيومي.
13. مفاتيح الغيب : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – 1420 هـ .